الشاهنامة: ملحمة الملوك وبنيان الهوية الفارسية

د. وسيم حسن راجا [1]

الملخّص

تتناول هذه الدراسة ملحمة "**الشاهنامة** "للشاعر الفارسي **أبو القاسم الفردوسي**، بوصفها واحداً من أهم الصروح الأدبية التي صاغت الهوية الثقافية والوطنية لإيران الكبرى. يهدف البحث إلى استكشاف البنية السردية للملحمة التي تنقسم إلى ثلاثة عصور كبرى :**الأسطوري**، **والبطولي**، **والتاريخي**، مع تحليل لأبرز الشخصيات المؤثرة مثل "رستم" و"جمشيد."

تُسلط الدراسة الضوء على الدور المحوري الذي لعبته الشاهنامة في **الحفاظ على اللغة الفارسية** وإحيائها في مواجهة التحديات الثقافية آنذاك، مستعرضةً القيم الإنسانية والكونية التي طرحها الفردوسي، مثل الصراع بين الخير والشر، والعدالة، والقدر.

كما تتضمن الدراسة **جانباً مقارناً** يربط بين الشاهنامة والأدب العربي، من خلال تحليل أوجه التشابه في تصوير البطولة (رستم وعنترة) والبنى السردية والملاحم الشعبية، بالإضافة إلى تتبع الأثر الثقافي المتبادل عبر الترجمات، ولا سيما ترجمة **البنداري** .تخلص الدراسة إلى أن الشاهنامة ليست مجرد سجل تاريخي، بل هي "عقد اجتماعي" إبداعي عابر للحدود، يُقدم رؤى خالدة حول الأخلاق والوحدة في التنوع الثقافي.

الكلمات المفتاحية :الشاهنامة، الفردوسي، الهوية الفارسية، رستم وسهراب، الأدب المقارن، الحفاظ اللغوي، ملاحم البطولة.

مقدمة: نبذة عن صرح الفردوسي

تُعد **"الشاهنامة"**، أو "كتاب الملوك"، الملحمة الوطنية الكبرى لإيران الكبرى،

---

١ الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، أونتي بورة كشمير

وهي ليست مجرد ديوان شعري، بل هي **"سجل الوجود "**الذي حفظ للأمة الفارسية ذاكرتها من الضياع. صاغها ببراعة فذة الشاعر الحكيم **أبو القاسم الفردوسي** في نحو **ستين ألف بيت** من الشعر على بحر "المتقارب (فعولن فعولن فعولن فعل) وهو ما جعلها أضخم عمل ملحمي لشاعر واحد في تاريخ الأدب العالمي. تحدث فيها الشاعر عن آمال أمة الفرس، وآلامها، وعن صراعها المرير منذ بداية تشكل الإمبراطورية الفارسية حتى أفول نجمها وانهيارها على يد العرب المسلمين الذين هزموا جيوش يزدجرد الثاني في معركة القادسية[٢]

تكمن السمة السامية لهذه الملحمة في أنها لم تكن مجرد سرد لقصص الملوك، بل كانت **مشروعاً لإحياء اللغة الهوية** .ففي العصر الذي قدمها فيه الفردوسي للسلطان **محمود الغزنوي**، كانت اللغة العربية هي لغة العلم والأدب السائدة، فجاءت الشاهنامة لتنقي اللغة الفارسية وتستعيد بريقها، معتمدة على مفردات أصيلة وتجنب الاقتراض اللغوي إلا في أضيق الحدود.

ولم تقف عظمة هذا الصرح عند حدود اللسان الفارسي؛ إذ أدرك العرب مبكراً قيمة هذا الكنز الأدبي، فقيض الله لها **الفتح بن علي البنداري** (المتوفى سنة ٦٤٣ هـ)، الذي اضطلع بمهمة شاقة لنقل هذا المحيط الشعري إلى **اللسان العربي** .ولم يكن عمله مجرد ترجمة، بل كان **إعادة صياغة نثرية رصينة** حافظت على الروح الملحمية، مما حول الشاهنامة إلى جسر ثقافي وحضاري متين، سمح للعقل العربي باستيعاب ميثولوجيا وحكمة جيرانه الفرس، وصهرت القيم الأخلاقية المشتركة في قالب أدبي واحد.

مسيرة التأليف: من "الدقيقي" إلى "الفردوسي"

لم تكن الشاهنامة وليدة لحظة إبداعية عابرة، بل كانت تتويجاً لقرون من التراكم المعرفي والمحاولات السردية. فقد مرت بـ **مخاض عسير** ومرحلتين مفصليتين

---

٢ مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ٢٠١٣ /العدد ١ ص ٩٠٦

قبل أن تخرج في صورتها النهائية التي نعرفها اليوم:

مرحلة التأسيس (الدقيقي): بدأت الفكرة كطموح سياسي وثقافي في البلاط الساماني، حيث اقترح **نوح بن منصور الساماني** تدوين تاريخ ملوك الفرس شعراً. كُلف الشاعر **أبو منصور الدقيقي** بهذه المهمة، فبدأ بنظم "الگشتاسب نامه"، إلا أن يد القدر كانت أسرع، إذ وافته المنية (مقتولاً) ولم يُنجز سوى ألف بيت تقريباً تناولت ظهور الزرادشتية.

مرحلة الإعجاز (الفردوسي): هنا بدأت رحلة الفردوسي التي استمرت قرابة **خمسة وثلاثين عاماً** .لم يكتفِ الفردوسي بما بدأه الدقيقي (بل ضمه في ملحمته تقديراً له)، وانطلق في رحلة بحث دؤوبة بين المخطوطات القديمة "البهلوية" والروايات الشفوية لـ "الدهاقين" (حفظة التراث)

تتجلى عبقرية الفردوسي في **التطور المنهجي والأسلوبي** داخل الملحمة؛ فقد بدأ مشواره مستخدماً لغة مشبعة بالرموز والأساطير والخوارق ليصور بدء الخلق والملوك الأوائل (مثل كيومرث وجمشيد)، حيث كان الشاعر هنا **خالقاً لعوالم خيالية** .ومع تقدمه في السرد نحو العصور الوسطى والمتأخرة، تحول تدريجياً إلى **مؤرخ رصين** يلتزم بالدقة التاريخية والتحليل السياسي لتقلبات الدول وسقوط العروش، خاصة في الجزء الساساني. هذا الانتقال من "الميثولوجيا" إلى "التاريخ" هو ما منح الشاهنامة صبغتها الفريدة كعمل يجمع بين شطحات الخيال ووقار الحقيقة التاريخية.

بنية الملحمة و أقسامها الكبرى

تُعَدّ الشاهنامة لأبي القاسم الفردوسي الملحمةَ الوطنية الكبرى لإيران، وتمثّل سجلًا شعريًا جامعًا للذاكرة التاريخية والأسطورية والثقافية للشعب الإيراني. يقول الأدباء في أفغانستان" إن الشاهنامة ليست مجرد ديوان شعري، بل موسوعة شعرية للتاريخ والأسطورة. ففيها تمتزج قصص الملوك الساسانيين مع حكايات الأبطال الأسطوريين، دوّن فيها الفردوسي أساطير الفرس القديمة وتاريخهم قبل الإسلام

وبعده، بأسلوب يجمع بين البلاغة الشعرية والدقة التاريخية"[٣].

ويقول الباحث في تاريخ الأدب الأفغاني عبد الكريم جليل - إن "الشاهنامة" ساهمت في حفظ الفارسية كلغة أدب وعلم، ورسخت وعيا حضاريا عند الأفغان بأنهم جزء من فضاء ثقافي يتجاوز الحدود السياسية الحديثة، وأراد الفردوسي أن يعيد صياغة هوية حضارية لشعبه في مواجهة الاندثار السياسي والثقافي، فكانت الشاهنامة "صرخة شعرية" أعادت الاعتبار للفارسية كلغة أدب وحضارة، واستغرق كتابتها ٣٠ سنة، إذ يبلغ ضعفي حجم "الإلياذة والأوديسا معا."

وقد صاغ الفردوسي بنية هذه الملحمة في إطار سردي متماسك يقوم على التسلسل الزمني للأحداث، حيث تنقسم إلى **ثلاثة عصور رئيسية** تعكس تطوّر الإنسان الإيراني من الأسطورة إلى التاريخ، وتُبرز تحوّل القيم من المثاليات الأولى إلى صراعات الواقع السياسي والاجتماعي.

أولًا: العصر الأسطوري

يُعدّ هذا العصر الأساسَ البنيوي للملحمة، إذ يتناول مرحلة **خلق العالم وبدايات الوجود الإنساني**، ويركّز على نشأة الملك والسلطة بوصفهما عنصرين من عناصر النظام الكوني. وتظهر شخصيات هذا العصر في صورة ملوكٍ ذوي صفات شبه إلهية، يجمعون بين الحكمة والقوة، ويؤدّون دورًا حضاريًا يتمثّل في إرساء مبادئ **الزراعة، والعدل، والنظام الاجتماعي، ومقاومة الفوضى والشر**.

ومن أبرز شخصيات هذا العصر:

كيومرث: يُصوَّر بوصفه أول إنسان وأول ملك، ويُمثّل بداية الحياة المنظمة على الأرض، حيث عاش في انسجام مع الطبيعة، وتُجسِّد شخصيته البراءة الأولى والنظام

---

٣ الشاهنامة.. ملحمة الفردوسي التي ما زالت تلهم الأفغان مقال بحثي في جزيرة نت كتبه حميد الله محمد شاه

الفطري للوجود.

أوشهنج :الحاكم الحكيم الذي يُنسب إليه اكتشاف النار، وهو رمز للانتقال من الحياة البدائية إلى مرحلة الوعي والمعرفة، كما يُمثّل بداية التقدّم التقني والحضاري في المجتمع الإنساني.

جمشيد :ملكٌ عظيم ازدهرت البلاد في عهده، وبلغت الحضارة ذروة التقدّم والرخاء، غير أنّ غروره وتعاليه أدّيا إلى سقوطه، في إشارة رمزية إلى أن الاستبداد والغرور يُفسدان حتى أعظم الإنجازات.

الضحّاك :يُجسِّد قمة الشر والطغيان، ويُصوَّر كحاكمٍ ظالم تنمو من كتفيه ثعبانان لا يهدآن إلا بدماء الأبرياء، وهو رمز للاستبداد السياسي والانحراف الأخلاقي، ويمثّل النقيض التام لقيم العدل والحكمة التي سادت في بدايات العصر الأسطوري.

ويعكس هذا العصر صراعًا دائمًا بين **قوى الخير والشر**، ويؤسّس للثيمات الكبرى التي ستستمر في بقية الملحمة، مثل العدالة، والسلطة، والمسؤولية الأخلاقية للحاكم، ومصير الإنسان بين السمو والسقوط.

ثانيًا: العصر البطولي

يُعَدّ العصر البطولي القلبَ النابض لملحمة ***الشاهنامة***، وهو أطول أقسامها وأكثرها شهرة وتأثيرًا في الوعي الأدبي والثقافي، إذ ينتقل فيه السرد من العالم الأسطوري الخالص إلى عالمٍ أقرب إلى الواقع الإنساني، حيث تتجلّى البطولة في صورة الصراع، والتضحية، والمأساة. ويتمحور هذا العصر حول شخصية **رستم**، البطل الأسطوري الأكبر، الذي يمثّل ذروة الفروسية الإيرانية وقيم الشجاعة والقوة والوفاء للوطن والملك.

وهذا الدور مشترك مع الدور الأسطوري الذي قبله في الأساطير ولكن الفرق بينهما الذي جعلنا نميزها عن بعضها ظهور المثل في حياة الناس.[٤] ويمتلئ هذا القسم

---

٤ دراسات في الشاهنامه: ص ٨٤

بحكايات الفروسية والمعارك الكبرى، لكنه لا يقتصر على تمجيد القوة الجسدية، بل يُبرز أيضًا الأبعاد النفسية والأخلاقية للبطولة، ويكشف عن هشاشة الإنسان أمام القدر، مهما بلغت قوته وعظمته. ومن أشهر قصص هذا العصر:

مأساة رستم وسهراب: تُعدّ من أعظم المآسي في الأدب الملحمي العالمي، إذ تصوّر الصراع القدري بين أبٍ وابنه المحاربين، حيث يقتل رستم ابنه **سهراب** في ساحة القتال دون أن يعرف هويته الحقيقية. وتُجسّد هذه القصة مأساة الجهل وضياع المعرفة، كما تعبّر عن سطوة المصير المحتوم الذي لا يرحم، وتطرح أسئلة عميقة حول الهوية، والقدر، وثمن البطولة.

إن من يقرأ هذه القصة المؤلمة والمعبرة لا بد أن يضم صوته إلى صوت الفردوسي إذ يقول "لا أحد يستطيع حل لغز الكون، فهو باب مغلق، وسوف تتلف عمرك لو حاولت فتحه، ولكن كل ما حدث قضاء وقدرا، فهو مقدر من ربّ الكون والعباد، فلا تتعلق بهذه الدنيا المستعارة، لأن كل ما هو عارية لا يفيد شيئا"[٥]

لقد دأب الفردوسي في هذه القصة المأساة وقصص الشاهنامة ومآسيها الأخرى التأكيد بأن التصدي للقدر وما كتب على الجبين، ضرب من المحال، ولا بد للإنسان من الإذعان والتسليم، لأن مساعي الحذر والتدبير والاحتياط لن تفلح في مسح ما جف به القلم. فالمكتوب، مسألة جبرية ليس للاختيار وإرادة البشر إليها سبيل، وهذا الأمر جلي واضح في قصص التراجيديا الكثيرة التي حفلت بها الآداب العالمية"[٦]

الأعمال السبعة لرستم (هفت خوان): وهي سلسلة من المغامرات البطولية الخارقة التي يخوضها رستم لإنقاذ الملك كاي كاوس، حيث يواجه الوحوش، والجن، وقوى الظلام، في صورة رمزية للصراع بين النظام والفوضى، وبين العقل والشهوة،

---

٥ شاهنامه ج٢ ص ٥٢٠

٦ مأساة رستم وسهراب، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب٢٠١٣ ص ٩٢٦

وبين الإنسان وقواه الداخلية والخارجية.

قصة سياوش :تمثّل نموذجًا للبراءة والنقاء الأخلاقي في مواجهة الخيانة والفساد السياسي. فسياوش، الأمير النبيل، يُقدَّم بوصفه رمزًا للعدل والصدق، غير أنّ استقامته تجعله ضحية للمكائد والمؤامرات، مما يضفي على القصة طابعًا مأساويًا يعمّق البعد الإنساني في هذا العصر.

حروب توران :تجسّد الصراع الأزلي بين **إيران** وقوى الشر المتمثّلة في **توران**، وهو صراع لا يقتصر على المعارك العسكرية، بل يحمل دلالات حضارية وثقافية وأخلاقية، حيث يُصوَّر بوصفه مواجهة بين قيم العدل والنظام من جهة، والعدوان والفوضى من جهة أخرى.

ويتميّز العصر البطولي بتركيزه على الفرد البطل ودوره في صناعة التاريخ، كما يكشف عن التحوّل التدريجي من البطولة المثالية إلى البطولة المأساوية، حيث يصبح البطل، رغم قوته الخارقة، أسيرًا للقدر والصراعات السياسية والاجتماعية. وبذلك يُشكّل هذا العصر جسرًا فنيًا وفكريًا بين الأسطورة الخالصة والتاريخ الواقعي في بنية ***الشاهنامة***.

ثالثًا: العصر التاريخي

يُمثّل العصر التاريخي المرحلةَ الختامية في بنية *الشاهنامة*، حيث ينتقل السرد من المجال الأسطوري والبطولي إلى فضاء التاريخ المدوَّن، وتغدو الأحداث أكثر ارتباطًا بالواقع السياسي والاجتماعي لإيران القديمة. في هذا القسم، يعمد الفردوسي إلى تسجيل **صعود وسقوط السلالات الحاكمة الحقيقية**، مثل الدولة **الأخمينية**، و**البارثية**، و**الساسانية**، في محاولة للحفاظ على الذاكرة التاريخية والهوية القومية في مواجهة النسيان والانقطاع الحضاري.

ويبرز في هذا العصر عدد من الملوك التاريخيين الذين يُقدَّمون بوصفهم نماذج مختلفة للحكم والسلطة، ومن أبرزهم **أردشير الأول**، مؤسس الدولة الساسانية، الذي يُصوَّر باعتباره رمزًا لإعادة توحيد البلاد وترسيخ النظام السياسي، و**كسرى**

أنوشيروان، الذي يُقدَّم نموذجًا للملك العادل والحاكم الحكيم، حيث ارتبط اسمه بالإصلاح الإداري، وترسيخ العدالة، وحماية الرعية. غير أنّ هذا العصر لا يقتصر على تمجيد السلطة، بل يكشف أيضًا عن مظاهر الضعف والانحلال التي أصابت الدولة، نتيجة الظلم الداخلي، والصراعات السياسية، والفساد الأخلاقي، وهو ما يمهّد للسقوط النهائي.

وتنتهي *الشاهنامة* بخاتمة مأساوية مؤثّرة تُصوّر **انهيار الإمبراطورية الساسانية** وما أعقبه من **الفتح العربي لبلاد فارس**، في مشهد يعبّر عن حزنٍ عميق على ضياع المُلك القديم، ويُجسِّد إحساسًا بالفقد الحضاري، دون أن يخلو من نبرة تأمّلية تُبرز سُنَن التاريخ وتقلبات الزمن، حيث لا يدوم ملك ولا تستمر قوة إلى الأبد.

وتشتمل الشاهنامه كأي ملحمة أخرى على قصص حب، وغرام، وتراجيديا، تشكلت أحداثها إلى جانب روايات الحرب الطاحنة التي ترتعد لهولها الجوارح. ومن هذه القصص: قصة عشق سيوش، وقصة بيجن منيجه، قصة رستم واسفنديار، قصة رستم وتهمينه، وتراجيديا رستم وسهراب"[٧]

الموضوعات والقيم المركزية في الشاهنامة

تقوم *الشاهنامة* لأبي القاسم الفردوسي على منظومة فكرية وأخلاقية متكاملة، تتجاوز حدود السرد التاريخي أو الأسطوري لتلامس جوهر التجربة الإنسانية في صراعها مع السلطة، والقدر، والهوية. وقد استطاع الفردوسي من خلال هذه الملحمة أن يرسّخ مجموعة من **القيم الإنسانية والوطنية** التي تمنح النص طابعًا كونيًا، وتجعله قابلًا للتفاعل مع ثقافات متعددة، على الرغم من انتمائه الواضح إلى الوجدان الإيراني. ومن أبرز هذه الموضوعات ما يأتي:

١. الصراع بين الخيروالشر

يُشكّل الصراع بين الخير والشر العمودَ الفقري للبنية السردية في *الشاهنامة*،

---

٧ ذبيح الله صفا، حماسه سرايى در إيران ص ٦

إذ لا يظهر بوصفه مجرد مواجهة عسكرية، بل يتجلّى أيضًا في القرارات السياسية، والمواقف الأخلاقية، والصراعات الداخلية للشخصيات. فالخير يرتبط بالنظام، والعدل، والحكمة، وحماية الرعية، في حين يُجسِّد الشرّ الفوضى، والطغيان، والانحراف عن القيم الإنسانية. ويأخذ هذا الصراع بعدًا كونيًا يتجاوز حدود الزمان والمكان، ليعكس رؤية فلسفية مفادها أن التاريخ الإنساني ليس سوى سلسلة متكرّرة من المواجهات بين هاتين القوتين المتضادتين، وأن انتصار الخير مؤقّت ما لم يُدعَّم بالعدل والحكمة.

٢. البطولة والشرف

تُعيد *الشاهنامة* تعريف مفهوم البطولة، إذ لا تكتفي بتقديم البطل بوصفه محاربًا لا يُقهر، بل تُحمّله مسؤولية أخلاقية تجاه الوطن، والملك، والمجتمع. وتُجسِّد شخصية **رستم** النموذج الأعلى لهذه البطولة المركّبة، حيث تمتزج القوة الجسدية بالشجاعة الأدبية، والوفاء بالالتزام الأخلاقي. غير أنّ البطولة في الملحمة ليست خالية من الألم؛ فهي غالبًا ما تقترن بالمأساة، كما يتجلّى بوضوح في قصة رستم وسهراب، مما يمنح البطولة بُعدًا تراجيديًا عميقًا، ويكشف عن الثمن الإنساني الباهظ الذي يدفعه الأبطال في سبيل المجد والشرف.

٣. العدل والملوكية

تحتلّ فكرة العدل مكانةً مركزية في التصوّر السياسي والأخلاقي لـ *الشاهنامة* . فالملك، في رؤية الفردوسي، ليس مجرد صاحب سلطة، بل هو **حارس النظام الأخلاقي والاجتماعي** .وتُربط شرعية الحكم ارتباطًا وثيقًا بقدرة الحاكم على تحقيق العدل، وصون حقوق الرعية، وكبح جماح الظلم. وفي المقابل، تُبرز الملحمة أن الاستبداد والانحراف عن قيم العدل يقودان حتمًا إلى السقوط، مهما بلغت قوة الدولة أو امتدّ نفوذها. ومن ثمّ تتحوّل *الشاهنامة* إلى مرآة نقدية للسلطة، تُحذّر من عواقب الطغيان، وتؤكّد خضوع الملوك لقوانين التاريخ والأخلاق.

٤. القدر والمصير

يُشكّل مفهوم القدر أحد الأبعاد الفلسفية العميقة في *الشاهنامة*، حيث تتجلّى العلاقة المعقّدة بين إرادة الإنسان ومشيئة المصير. فرغم ما يمتلكه الأبطال والملوك من قوة وحكمة، فإنهم يقفون في نهاية المطاف عاجزين أمام قوانين القدر التي لا يمكن تجاوزها. ويمنح هذا البعد الملحمة طابعًا تأمليًا، يجعلها تساؤلًا مفتوحًا حول حدود الحرية الإنسانية، ومعنى الفعل الأخلاقي في عالم تحكمه قوى تتجاوز قدرة الإنسان على التحكم الكامل في مصيره.

الأهمية الثقافية واللغوية *للشاهنامة*

تكمن عظمة *الشاهنامة* في دورها الريادي في **الحفاظ على اللغة الفارسية والهوية الثقافية الإيرانية** في مرحلة تاريخية كانت العربية فيها لغةَ العلم والفكر والأدب. وقد تعمّد الفردوسي أن يكتب ملحمته بلغة فارسية نقية، متجنّبًا الألفاظ العربية قدر الإمكان، في مسعى واعٍ لإحياء الذاكرة اللغوية والثقافية للأمة. وبذلك لم تكن *الشاهنامة* مجرد عمل أدبي، بل مشروعًا حضاريًا حافظ على التراث الأسطوري والتاريخي الإيراني من الضياع، وأسهم في ترسيخ الفارسية لغةً للأدب الرفيع.

دراسة مقارنة :*الشاهنامة* في مرآة الأدب العربي

تُفضي المقارنة بين *الشاهنامة* للفردوسي والأدب العربي الكلاسيكي إلى آفاق نقدية رحبة، تُبرز عمق التفاعل الحضاري بين الثقافتين الفارسية والعربية، وتكشف عن مساحات واسعة من التقاطع والاختلاف على المستويات السردية، والفكرية، والجمالية، والرمزية. ولا تنحصر هذه المقارنة في مجرد التشابهات الشكلية، بل تمتدّ إلى البنى الذهنية والرؤى الكونية التي شكّلت الوعي الجمعي لدى كلٍّ من الأمتين.

أولًا: البنية السردية

تقوم *الشاهنامة* على بناء ملحمي متصل، ذي نفسٍ سردي طويل، ينساب عبر آلاف الأبيات في خطٍّ تاريخي شبه متواصل، يبدأ من أساطير الخلق وينتهي بالأحداث التاريخية المرتبطة بسقوط الدولة الساسانية. ويمنح هذا الامتداد السردي العمل طابعًا شموليًا، يجعل منه سجلًا أسطوريًا وتاريخيًا في آنٍ واحد. أما الأدب العربي، فلا يعرف الملحمة بالمعنى الكلاسيكي الصارم، غير أنّ الروح الملحمية تتجلّى فيه من خلال أشكال بديلة، أبرزها السير الشعبية مثل *سيرة عنترة بن شداد* و*سيرة بني هلال*، التي تقوم على التراكم الحكائي وتعدد المغامرات، فضلًا عن البناء الشعري المكثّف في المعلّقات، حيث يُختزل البعد الملحمي في مقاطع شعرية عالية الكثافة، تُعلي من شأن البطولة والقيم القبلية[8].

ثانيًا: مفهوم البطولة

تتجسّد البطولة في *الشاهنامة* من خلال شخصيات أسطورية كبرى، وفي مقدمتها رُستم، الذي يمثّل البطل الكامل: قويّ الجسد، صلب الإرادة، وحارس القيم القومية والملكية. ويغدو رستم رمزًا للصراع الأزلي بين الخير والشر، وبين النظام والفوضى، في فضاءٍ تتداخل فيه الأسطورة بالتاريخ. ويقابل ذلك في الأدب العربي نموذج عنترة بن شداد، الذي تتقاطع شخصيته مع رستم في قيم الشجاعة، والكرامة، والفروسية، غير أنّ بطولة عنترة تنبثق من سياق قبلي تاريخي واقعي، يتّصل بقضايا النسب، والحرية، والاعتراف الاجتماعي، مما يمنحها بعدًا إنسانيًا واجتماعيًا أكثر التصاقًا بالواقع، في مقابل البعد الأسطوري الرمزي الغالب على بطولة رستم.

ثالثًا: الأساطير والخيال

تزخر *الشاهنامة* بالأساطير الكونية وحكايات الخلق، وصور الملوك ذوي الصفات شبه الإلهية، الذين يجمعون بين السلطان الأرضي والشرعية السماوية،

---

8 طه حسين حديث الأربعاء الجزء الأول. ص ١١٢.

وهو ما يعكس تصوّرًا فارسيًا قديمًا للملك بوصفه ظلًّا للنظام الكوني. أما الأدب العربي، فيقدّم خيالًا مختلف الملامح، يتجلّى في عالم الجنّ، والعجائب، والغرائب، كما في *ألف ليلة وليلة*، حيث تتداخل الواقعية الاجتماعية بالخيال العجائبي، ويُستخدم السحر واللامألوف بوصفهما أدوات رمزية للكشف عن هموم الإنسان، وتناقضات السلطة، وتقلبات المصير.

رابعًا: التأثير المتبادل والتفاعل الحضاري

لم تكن العلاقة بين *الشاهنامة* والأدب العربي علاقة في اتجاه واحد فحسب، بل قامت على الأخذ والعطاء. فقد تركت *الشاهنامة* أثرًا واضحًا في الثقافة العربية من خلال الترجمات والشروح، ولا سيما ترجمة البنداري التي أسهمت في نقل الروح الملحمية الفارسية إلى القارئ العربي، وفتحت باب التفاعل مع الموروث الإيراني القديم.

وفي المقابل، تأثّرت الثقافة الفارسية، بعد الفتح الإسلامي، بالتحولات الدينية والسياسية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام، وهو ما انعكس في إعادة صياغة كثير من المفاهيم الأسطورية والتاريخية ضمن أفقٍ إسلامي جديد. وقد أفضى هذا التداخل إلى تفاعل ثقافي خصب، أسهم في إثراء التراثين، وخلق فضاءٍ أدبي مشترك تتجاور فيه الأسطورة بالتاريخ، والشعر بالسرد، والخصوصية القومية بالبعد الإنساني العام.

الخاتمة

تتجلّى ***الشاهنامة*** لأبي القاسم الفردوسي بوصفها عملًا ملحميًا فريدًا يجمع بين الأسطورة والتاريخ والفلسفة، ويُعبّر عن وعيٍ حضاريّ عميق بالإنسان والسلطة والمصير. فليست هذه الملحمة مجرد سجلٍّ لأمجاد الماضي، بل هي نصٌّ ثقافيّ شامل أسهم في صياغة الهوية الإيرانية، وحافظ على الذاكرة الجمعية في مرحلة تاريخية اتسمت بالتحوّل والانكسار.

وقد كشفت الدراسة أن البنية الثلاثية للملحمة—الأسطورية، والبطولية،

والتاريخية—ليست تقسيمًا زمنيًا فحسب، بل رؤية فكرية تُجسِّد تطوّر التجربة الإنسانية من المثال إلى المأساة، ومن الحلم الحضاري إلى الواقع التاريخي. كما أبرزت الموضوعات المركزية في ***الشاهنامة***، مثل الصراع بين الخير والشر، والبطولة والشرف، والعدل والملوكية، والقدر والمصير، عمقَ البعد الأخلاقي والفلسفي للنص، وجعلته قابلًا للحوار مع الملاحم العالمية الكبرى.

ومن الناحية الثقافية واللغوية، يتجلّى دور الفردوسي الريادي في صون اللغة الفارسية وإحيائها، وتحويلها إلى أداة تعبير أدبي راقٍ قادر على حمل أثقل المضامين الفكرية والرمزية. كما أظهرت المقارنة مع الأدب العربي أن ***الشاهنامة*** لم تكن نصًا منغلقًا، بل جزءًا من فضاء ثقافي مشترك، شهد تفاعلًا وتأثيرًا متبادلًا في أنماط السرد، وصور البطولة، وبناء الخيال.

وعليه، يمكن القول إن ***الشاهنامة*** لا تزال نصًا حيًّا يتجاوز حدود عصره، ويقدّم قراءة إنسانية عميقة لمعنى السلطة، ومحدودية القوة، وتقلبات الزمن. وهي، بذلك، ملحمةٌ تؤكّد أن الأدب العظيم لا يُحفظ بوصفه تراثًا فحسب، بل يُعاد قراءته بوصفه وعيًا نقديًا مستمرًا بالتاريخ والإنسان والمصير.

المصادروالمراجع:

١. الفردوسي، أبو القاسم. الفردوسي، *الشاهنامة*، ترجمة عبد الوهاب عزام، ج١، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م
٣. إسماعيل الشمري .*الشاهنامة والأدب العربي* (ندوة/ورقة بحثية). جامعة قطر. تحليل أدبي يربط بين الشاهنامة والتراث العربي .
٤. إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشورابي، القاهرة، ١٩٥٤م
٥. أمين عبد المجيد بدوي، جولة في شاهنامة الفردوسي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م
٦. ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات در إيران" ج١ تهران ١٣٤٢

٧. رضا زادة شفق، تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة: محمد موسى هنداوي، القاهرة، ١٩٤٧م
٨. السباعي محمد السباعي، في اللغة الفارسية وآدابها، ط٤، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٧م
٩. ندا، طه .*دراسات في الشاهنامة* .الإسكندرية: دار الطالب، ١٩٥٤.